مواقف استشراقية في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
حسن الحكيم
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

مواقف استشراقية في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور
حسن الحكيم
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

إن كثيراً من دراسات المستشرقين والإسلاميين للقرآن الكريم، والحديث الشريفة بعيدة عن الاستيعاب الذهني، وغائبة عن فهم مضامين النصوص، ولعل هذا ناتجاً من عدم فهم اللغة العربية، ومبادئ الدين الإسلامي مما أبعد بعض المستشرقين عن الحقيقة العلمية، ولكن ليس معناه خلو الدراسات من منهجية علمية دقيقة، فقد كان المستشرق الفرنسي (بلاشير) فقيهاً في اللغة العربية ونحوها وصرفها، والمستشرق الانكليزي (آدم سمث) عالماً في الدراسات القرآنية، والمستشرق الألماني (تيودور نولدكه) عد الدين الإسلامي عالمياً في وجوده، وأحب المستشرق (جودته) القرآن الكريم بعد تلاوته له.

وترجمة إلى اللغة الألمانية، وغيرهم من المستشرقين، ولكن في قبال هؤلاء من وجّه للقرآن الكريم طعون وشبهات ومنهم المستشرق (شنكلر تسديل) عند مقارنة بعض الآيات الكريمة بأبيات الشعر الجاهلي، وأشار إلى اقتباسات القرآن الكريم معان من الشعر العربي، ولعل أخطر موضوع وقف عنده كثير من المستشرقين هو التشكيك والطعن بظاهرة (الوحي) وهذا ناتج من عدم تكوين فكرة صحيحة عن القرآن الكريم. فوصفوا انفعالات النبي ﷺ عند نزول الوحي بحالات الصرع وفقدان الاتزان، فيقول: (نورمان دانيال): إن نوبان الوحي وتصبب العرق وصلصلة الجرس، فسروه بالصرع.

ويقول نولدكه: أن سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع، وتتابع كثير من المستشرقين على هذا الرأي،

دون استيعاب كحالة الانجذاب الروحي والتعبدي للنبي الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) في لحظات نزول الوحي عليه، ففسروه بحالة مرضية حتى تعسف بعضهم في تفسير هذه الظاهرة مما أبعدهم عن البحث العلمي الموضوعي، وإذا نظر المستشرقون المتعصبون إلى الآيات الكريمة التي تشير إلى الوحي لتأكد لهم الفرق بين الذات الإلهية، والذات المحمدية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ والنص القرآني صريح في بيان استقلال ظاهرة الوحي عن الذات المحمدية استقلالاً تاماً، وتعرض المستشرق الأمريكي (واشنتجون أرفنج) في كتابه (حياة محمد) إلى خصومة بعض الكتاب الغربيين للقرآن الكريم، والسيرة النبوية، والدين الإسلامي.

ولما وقف بعضهم على ظاهرة الوحي قال: ((هي المسألة التي تثيرها خصومه من الكتّاب المسيحيين)) وقال بعضهم: أن القرآن الكريم من صنع محمد في محاولة لإزالة صفة الإلوهية عنه، وصفة الرسالة السماوية عن النبي الكريم ﷺ وأرادوا بذلك القول أن النبي الكريم استقى القرآن من الأحبار والرهبان. وأن تعاليمه مستمدة من الكتب السماوية التي سبقت الإسلام. وهذا واضح في دراسات المستشرق (جولتزهير) في كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام)، والمستشرق (وات) في كتابه (محمد في مكة)، وأطلق بعض المستشرقين لفظ (كتاب محمد) على القرآن الكريم. فيقول المستشرق الفرنسي (شانوبريان): كان القرآن كتاب محمد وهو لم يحتو على أي مبدأ للحضارة، أو أي تعليم يسمو بشخصيته، وقد جاءت بعض الترجمات للقرآن الكريم مشوشة ومشوهة كما في ترجمة (روبرت اف كيتون).

وقد أفصح الفيلسوف والشاعر الفرنسي (فولتير) إلى عدم الموضوعية في آرائه في حين أنه كان من رواد حركة التنوير في أوربا، ولكن هذه الثقافة لم تكن حائلاً من تعصبه، وإعطاء الصورة الحقيقية للدين الإسلامي، فذكر

المستشرق (آوبري) أن القرآن الكريم معجز في إلهية لا يمكن ترجمته، وعلى الإنسان أم يحفظه بلغته الأصلية، ونحن اليوم بحاجة إلى دراسات عميقة موضوعية لآراء المستشرقين للقرآن الكريم والدين الإسلامي والحضارة والفكر والتاريخ.